الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات أدبية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة الثانية: الإحياء الشعري في المشرق (02)

الاتجاه التقليدي في الشعر العربي الحديث (المدرسة الكلاسيكية المجددة):

هو امتداد لحركة البعث والإحياء ورائد التقليد في الشعر العربي الحديث هو أمير الشعراء أحمد شوقي، وقد سميت بالمدرسة الكلاسيكية والتقليدية مقارنة بما جاء بعدها من الاتجاهات أي باعتبار ما بعده.

هناك اختلافات بين الاتجاه التقليدي واتجاه البعث والإحياء؛ فاتجاه البعث كان يركز على محاولة بعث الشعر العربي في صورته القديمة، وقد كان طموح البارودي من ذلك هو الوصول إلى ما وصل إليه القدامى على اعتبار أن الشعر في العصر الجاهلي والعباسي ارتقى إلى أعلى مراتبه.

إن الاتجاه التقليدي فيه بعض التغييرات فعبارة المدرسة المجددة أفضل من عبارة تقليدي لأنها توحي بالحفاظ على ما هو موجود في مدرسة الشعر القديم، لكن عندما نقول المدرسة الكلاسيكية المجددة نستشعر بعض الإضافات إلى التقليد والحفاظ على الشعر القديم.

ومن رواد هذا الاتجاه نجد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وقد حاولا من خلال هذه المدرسة المزج بين التراث العربي الأصيل، والتيار الغربي الذي تأثر به بعض الشعراء والأدباء خاصة المهاجرين منهم، فأحمد شوقي وزميله قد تتأثرا بالفرنسيين خصوصا **فيكتور هيجو**، وإن كان **حافظ إبراهيم** قد نزع منزع البارودي لأنه يعتبره قدوة فقد حاكى وعارض فحول الشعراء من العصر العباسي والعصر الجاهلي.

من سمات هذا الاتجاه ما يلي أنهم حاولوا استلهام روح العصر مع المحافظة على التراث فقد حافظ أصحاب هذا الاتجاه على الوزن والقافية والغرض؛ غير أن **أحمد شوقي** لم يبدأ قصائده بالغزل ولم يطمح إلى الفخر كثيرا في قصائده، بل حاول أن يجيد كل الأغراض ولكن بأسلوبه الخاص.

أحمد شوقي:

استطاع شوقي بسعة اطلاعه أن يقدم شيئا مختلفا عن غيره من أمثال البارودي؛ حيث حاول الخروج عن روح الشعر القديمة وأوجد لونا جديدا مثل الشعر التمثيلي الذي لم يكن شائعا فقد قد الكثير من المسرحيات كمصرع كليوبترا ومجنون ليلى.... الملاحظ تاريخياً أن هذا اللون من الشعر (التمثيلي) –كما يذكر بعض النقاد – له أصول قديمة في شعرنا العربي والبعض الاخر ينفي وجود هذا اللون من الشعر في العصور العربية المختلفة.

ولكن هناك بعض القصائد الشعرية الغزلية منها على وجه الخصوص كان فيها الحوار يدور بين الحبيب والحبيبة كما نرى في قصائد عمر بن ابي ربيعة وعنترة بن شداد وأمرئ القيس ومهما يكن من أمر فان هذه القصائد لا يمكن ان نعدها شعراً تمثيلياً كالتي نظمها الشاعر أحمد شوقي ولا يصدق هذا القول بأن تلك القصائد يمكن أن تنسب إلى ما يسمى بالشعر التمثيلي فلهذا اللون خصائصه الخاصة وهو فن مقتبس عن الغرب ولم يكن للعرب باع به.

ومن أمثلة الشعر التمثيلي نأخذ مقطعا حواريا من قصيدة مصرع كليوباترا يدور فيه الحديث بين الكاهن أنوبيس والملكة:

كليوباترا :

أبي، أعلمتَ أن الجيشَ وَلَّى وأن بوارجي أبَت المضيَّا

أنوبيس :

علمتُ وكان ذلك في حسابي وذا حابي به أفضى إليَّا

كليوباترا :

وهل نَبَّاك عن أنطونيوسٍ وكيف جرتْ هزيمتُه عَليَّا

وما أدري أأردوْه قتيلًا صباح اليوم أو أخذوه حيَّا؟

أبي ذهب الحليفُ فكنْ حليفي فقد أصبحت لا أجدُ الوليَّا

أبي خفتُ الحوادثَ

أنوبيس :

لا تُراعي لَباةُ النيل ليس تخافُ شَيَّا

كليوباترا :

أبي لا العزلَ خفتُ ولا المنايا ولكن أن يَسيروا بي سَبيَّا

أيوطَأ بالمناسم تاجُ مصرٍ وثَمَّتَ شعرةٌ في مَفْرِقيَّا؟

أنوبيس (باستخفاف):

لتأت المقاديرُ أو فلْتَذَرْ تعاليْ كلوبترا ألقي النظرْ

كليوباترا :

أفاعٍ؟ أبي، نَحِّها، اخْفِها أعوذُ بإيزيسَ من كلِّ شرْ

فماذا تريدُ بإحرازهنَّ وهل يقْتني عاقلٌ ما يضرْ؟

أنوبيس :

أتيتُ بهنَّ لدرس السُّموم ولم أخْلُ في علمها من نظر

أداوي بها أو بترياقها محبَّ الحياة أو المنتحر

كليوباترا (كأنما تحدث نفسه):

محب الحياة أو المنتحر!

كفى أيها الشيخُ! بل هات زدْ فما بيَ خوفٌ ولا بي خَوَرْ

وإن تَكُ بي خشيةٌ في النساء فلي جُرْأةُ المِلكات الكُبر

تكلَّمْ فليست سمومُ الأراق م في الخُبْث دون سُموم البشر

فيا رُبَّ صَفْوٍ سَقَيْتُ الرجالَ فلمَّا تَرَوَّوْا سقوْني الكدر

هذا مقطع حواري دار بين شخصيتين هما الملكة والكاهن، وقد ظهرت الملكة هنا كشخصية حريصة على ملكها وجمالها فلا هي تريد التسليم بفقد البلاد والحكم، ولا التفريط بجمالها حتى بعد الموت، وبين هذين الأمرين الذين كلاهما مر كانت تستشير وتحاكي الكاهن صاحب الدرجة الدينية الرفيعة والذي يمتهن صناعة السموم واستخراجها من الأفاعي في الوقت ذاته.

حاورت الملكة الكاهن أنوبيس مستنجدة به مصرحة بهزيمتها وعجزها عن إيجاد الحلول المناسبة، ليقابلها بكلام غير مباشر مفاده الانتحار عن طريق سم الأفاعي للنجاة من السبي والأسر، فتظهر في البداية خائفة مترددة ثم تتخلص من خوفها وتصرح بأن لها جرأة وقوة عظيمة تجعلها تتحمل سم الأفاعي التي مهما بلغت درجة أذيتها فيستحيل أن تكون بقدر أذية البشر.

من هنا فإن الشاعر أحمد شوقي يكاد يكون هو مخترع الشعر التمثيلي في شعرنا الحديث، وقد أثر ذلك على جملة من الشعراء المعاصرين كخالد الشواف ومحمد علي الخفاجي وعبد الرحمن الشرقاوي في مصر كما أن البياتي ونزار قباني وعبد الرزاق عبد الواحد لديهم مسرحيات شعرية فيها حوار مباشر، وفيها الراوي الذي يعد لولب الاحداث المسرحية الشعرية.

- مازج شوقي بين الأغراض السابقة وأغراض أخرى جديدة: الشعر السياسي، الوطني، الاجتماعي.

- تحرر الشعر من قيود القافية والوزن لكن شوقي حافظ عليهما مع الدعوة إلى التجديد في الأسلوب دون الذهاب بالخيال حد الإسراف واللامعقول.

– حاول أن يخرج عن الشعر القديم لأنه يتناسب وذاك العصر فقد حاول التجديد في الأسلوب والأغراض وقد خطا بالقصيدة الشعرية إلى الأمام، وقد كانت عاطفته في الغالب الأعم صادقة مرهفة إلا أنها في قصائد الأمراء والملوك كانت مصطنعة نوعا ما.

–أحمد شوقي حاول في شعره أن يستحضر بعض الصور التقليدية ويضيف عليها مسحة عصره.

–اهتم بالتجديد اللغوي وذلك بتغيير العديد من المصطلحات اللغوية القديمة، والتي لم تعد شائعة الاستخدام بين الناس، واستبدالها بمفاهيم، ومصطلحات أقرب إليهم، وإلى الواقع الذي يعيشونه، من خلال الابتعاد عن الكلمات غير المألوفة، واستخدامه الكلمات المألوفة، والتي تؤدي إلى توضيح معنى القصيدة، ومن هنا تمكن التجديد اللغوي من فرض وسائله الحديثة على مبنى القصيدة الشعرية.

حافظ إبراهيم: كان محافظا على التقاليد شكلا ومضمونا فلم يحاول مجاراة المدرسة الكلاسيكية وكان وفيا جدا لما أرساه البارودي في شعر البعث والإحياء.

معروف الرصافي: حاول أن يطرق قضايا اجتماعية وهي مادة جديدة للعصر الحديث، ورأى بأن البارودي كان بإمكانه التجديد ولكنه لم يجدد؛ لأن منتهى طموحه كان أن يصل إلى ما وصل إليه القدماء فقد استطاع أن يدخل الحياة عاشها في ذلك العصر بشكل طفيف، ولكنه اعتمد بالدرجة الأولى على الحياة العباسية والجاهلية، ولكن البارودي كان بإمكانه أن يصل إلى قمة التجديد نظرا لموهبته واطلاعه على الشعر القديم فهو تميز تميزا باهرا ولكنه لم يتجاوز القصيدة التقليدية.

الأغراض الشعرية التي نظم الشعراء فيها:

هذه بعض الأغراض الشعرية القديمة والجديدة التي نظم فيها الشعراء:

المدح:

هناك البعض من الشعراء الكلاسيكيين يمدحون من أجل التكسب، ولكن الألفاظ هي التي تتغير فهي مواكبة للعصر حيث تكون الصفات والألفاظ مختارة بحسب الشخصية الممدوحة والعصر. وفي العصر الحديث لا نكاد نجد شاعرا لم يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الأماكن المقدسة، وهناك ما يسمى بالإلياذة الاسلامية **لأحمد محرم** الذي ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية، وقد صور فيها كفاح النبي صلى الله عليه وسلم لنشر الإسلام ففيها سيرة خير الأنام، كما أنه يذكر أول ممرضة في الإسلام وهي رفيدة إضافة إلى ذكر شخصيات الصحابة من أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وغيرهم.

يقول حافظ إبراهيم في مدح الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها أني إلى ساحة الفاروق أهديها

لاهم هب لي بيانا أستعين به على قضاء حقوق نام قاضيها

قد نازعتني نفسي أن أوفيها وليس في طوق مثلي أن يوفيها

فمر سري المعاني أن يواتيني فيها فإني ضعيف الحال واهيها

الرثاء:

عرف تطورا واهتماما في العصر الحديث وذلك لكثرة المصائب فقد رثوا الزعماء والعلماء وحتى المدن، شوقي مثلا رثى تركيا وكان شعره غالبا ما يتحدث عن فلسفة الموت بعيدا عن التأبين والمآتم، وحافظ إبراهيم رثى محمد عبده بخمسة قصائد ورثى مصطفى كامل بثلاثة قصائد.

يقول أحمد شوقي في رثاء لإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية، وأحد المجددين في العصر الحديث، والذي توفي سنة 1905م، وظهرت أسمى ملكاته في فهم وتفسير القرآن الكريم:

مفسر آي الله بالأمس بيننا قم اليوم فسر للورى آية الموت

رحمت مصير العالمين كما ترى وكل هناء أو عزاء إلى فوت

هو الدهر ميلاد فشغل فمأتم فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصوت

الهجاء:

قل شأنه في شعر العصر الحديث فقد ترفع الشعراء عليه وخاصة الهجاء الشخصي تعففا، والهجاء كان في الغالب لأعداء الأمة الاسلامية والاستعمار.

الشعر الوطني:

هو نوع من الأغراض الجديدة ويعني الشعر الذي يصور آلام المواطنين وآمالهم، وفيه حديث عن الاستعمار لذلك يمتزج كثيرا بالهجاء، وأشهر من نظم في هذا الغرض حافظ إبراهيم وله في ذلك دالية مشهورة بعنوان مصر تتحدث عن نفسها يقول فيها:

أنا تاج العلاء في مفرق الشرق ودراته فرائد عقدي

إن مجدي في الأوليات عريق من له مثل أولياتي ومجدي

أنا إن قدر الإله مماتي لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدي

ما رماني رام وراح سليماً من قديم عناية الله جندي

كم بغت دولة عليّ وجارت ثم زالت وتلك عقبى التحدي

إنني حرة كسرت قيودي رغم أنف العدا وقطعت قيدي

الشعر الاجتماعي:

تحدثوا من خلاله عن الفقر وخيانة الأمانة العلمية من قبل الأطباء والمحامين، وكذلك حاربوا الخرافات التي انتشرت في العصر الحديث، الدعوة إلى تعليم الفتاة، وأهم شعراء هذا الغرض أحمد شوقي وحافظ إبراهيم الذي تحدث عن كفالة اليتيم وعن غلاء الأسعار وتعب الإنسان من أجل لقمة العيش.

وفي هذه الأبيات اللاحقة نجد حافظ إبراهيم يتحدث عن موقفه من تنشئة الفتاة في المجتمع العربي، وضرورة تربيتها على الأخلاق لأنها جزء أساسي في بناء المجتمع:

فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا فالشر في التعقيد والإطلاق

ربوا البنات على الفضيلة إنها في الموقفين لهن خير وثاق

وعليكم أن تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي

الشعر التاريخي والتعليمي:

نظم فيه سابقا أحمد بن عبد ربه، أما في العصر الحديث فقد لبس ثوبا جديدا، ونجد ديوان أحمد محرم في أمجاد العرب وكذلك ديوان لأحمد شوقي.

الشعر السياسي:

يتعلق هذا النوع الشعري بقضايا الوطن ومعاناته من الاستعمار وآثاره السلبية، أو قد يكون حديثا عن السطلة كما ظهر عند معروف الرصافي الذي عرف بالحدة في آرائه السياسية وانتقاده السلطة الحاكمة وقتها بشكل لاذع، ودخوله المحظورات السياسية وقتها، حتى وصفه البعض "بالمنفلت" في الرأي أحيانا.

ومما كتبه في قصيدته عن تلك المرحلة:

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف

أسماء ليس لنا سوى ألفاظها أما معانيها فليست تعرف

من يقرأ الدستور يعلم أنه وفقا لصك الانتداب مصنف

وكان يدعو للثورات الاقتصادية والسياسية والعلم وتغيير المجتمع نحو رفاهية وحداثة وتطور أكثر بالعلم والاقتصاد، ومنح الحريات من أجل الوصول إلى الرخاء والاستقرار.